ضيف غريب

للكاتب السويدى الفكه المعروف

هاسى زيتر ستروم

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى

كنت قد فرغت منذ لحظات من تناول فطورى ودلفت إلى الشرفة ... كان الخليج ينبسط أمامى بشطئانه الفسيحة المترامية، ولونه الأزرق الداكن، وتتألق فوق مياهه شمس متوهجة تتقد اتقاداً.

وبعد أن ثبت مقعدى بحيث أواجه مهب الريح، أخذت استمتع بالنسيم الرخى الفاتر فشاعت فى حنايا قلبي دواعى الغبطة والابتهاج ...

ناولنى الخادم برقية ... وقد شعرت وأنا أتناولها منه بأنى سأجد فيها حتما ما يضايقنى وينغص على عيشى رغم اننى كنت أجهل بطبيعة الحال ما قد تتضمنه بين ثنايا سطورها ... صعدت زوجتى أيضاً إلى الطابق الذى كنت فيه.. فقلت لها

— وصلتنى برقية .. فهل لك أن تحزرى ما فيها ؟ ...

— ليس لدى الوقت الكافى لحل الألغاز وفك الأحاجى.. فضها وانظر ما فيها ... فضضت الغلاف فقرأت:

بحثت عنك فى المدينة ... سأحضر فى الرابعة والثلاثين ... تحياتى لزوجتك

«فردريك»

قلت لزوجتى

— هل تعرفينه ؟..

— كلا ! .. ومن يكون فردريك هذا ؟ ..

لا أعلم ... أنا أعرف شخصاً واحداً بهذا الاسم وهو ليس ممن يطيب له أن يبحث عنى أو يخطر له ببال أن يشخص إلى ...

— لعل البرقية ضلت طريقها إلينا : ...

— لا ! ... فالعنوان كامل. ليت شعرى أى فردريك هذا ؟..

إنه سيصل فى السابعة ... يجب أن ترتدى ثياباً لائقة، ثم اغسلى الأولاد قبل ربع ساعة فقط من الوعد ليمكن إبقاؤهم نظيفين ...

غادرتنى زوجتى، فخلوت إلى نفسى وإلى أفكارى. ثم نسيت فردريك تماماً إذ فقدته بين زورق البخارى والجزيرة التى لجأت إليها التماساً للراحة والهدوء ...

وزارة المعارف العمومية

مراقبة التوريدات — اعلان

سبق أن أعلنت الوزارة عن الحاجة إلى كتب دراسية المدارس الابتدائية ولمدارس المرحلة المتوسطة فى المواد الآتيــة :

قواعد اللغة العربية، والمطالعة العربية، ومبادىء اللغة الفرنسية، ومبادىء العلوم وتدبير الصحة، والتربية الوطنية، والجغرافيا، والتاريخ والعلوم العامة، والحساب والجبر، والهندسة

وكانت الوزارة قد حددت مواعيد تقديم هذه الكتب، ولكن نظراً لأن الوزارة تعيد النظر فى جميع الخطط والمناهج لتنظيم الدراسة فى معاهد التعليم العام بمرحلتيه الابتدائية والثانوية وما فى مستواها فقد قررت الوزارة تأجيل موعد هذه المسابقات التى سبق الاعلان عنها الى موعد آخر تحدده الوزارة فيما بعد

وستعيد مراقبـــة التوريدات ما وصل إليها من كتب المسابقات إلى حضرات مؤلفيها

٤٥٤٢

كان النهار رائعاً حقاً ...

وفى أثناء تناول الغداء قلت لزوجتى :

— الساعة السابعة بالضبط ... ألا يجب أن نذهب لاستقبال فردريك ؟

هبطنا إلى الميناء ...

كان المرفأ يموج بعلية القوم السلفاء الذين تعودوا تمضية أوقاتهم فيه على الدوام عابثين سادرين ... وكان هناك المصور الشاب ذو القبعة الحمراء والشفة الوشمة المتزنة ، كما كانت هناك النساء اللائى درجن على أن يصدقن بسذاجة متناهية كل ما يقال لهن :

وما إن رمقنى هؤلاء بعيونهن الزرق الواسعة التى حملت إلى قلبى كل ما فى أرواحهن من معانى الوداعة والدلال حتى ابتدرت مخاطباً إياهن :

— نشبت ثورة عظيمة فى باريس هـذا الصباح ، وأعلنت الأحكام العرفية ، وقد بلغ دوى المدافع والانفجارات من العنف والشدة بحيث تعذر على السكان أن يسمع الواحد منهم صوت محدثه. لهذا فقد أضطر الجميع إلى تخلية المدينة والخروج إلى الأرض الفضاء لمواصلة ثورتهم ولنومهم هناك ...

صرخت إحداهن بصوت حاد مؤلم .وكانت أمها تقيم بباريس:

— أمى ! .. أمى ! ...

فقلت مسلياً إياها

لا تخافى ولا تحزنى ! . إنهم نقلوا النساء والأطفال جميعاً إلى ساحة معشوشبة خضراء قبالة المدينة ...

أخذت الباخرة تقترب شيئاً فشيئاً وكان القول قد تبعه العمل ...

قلت لزوجتى :

— عاملى فردريك بمنتهى الرقة واللطف

التصقت الباخرة بالميناء ... فحيانى قائدها ، كما حيا المصور الشاب ، والسيدة التى هتفت به بقولها : هل من أخبار جديدة ؟.

خرج من الباخرة رجل وخط الشيب رأسه ، ونال الزمان من فوديه ، فقلت فى نفسى :

أستبعد أن يكون فردريك هو هذا ... ثم عرفته على التحقيق . لقد كان الرجل الذى تزوج حديثاً سيدة تملك متجراً فى المدينة لبيع القمصان ، وقد أبت صاحبته مغادرة محلها لأن موسم الصيف ملائم جداً لبيع أكبر عدد من باقات القمصان ...

ثم خرجت إلى البر سيدة وبنتها . لقد عرفتهما أيضاً ولوحت لها بيدى ...

وعلى أثر هؤلاء الثلاثة غادر السفينة رجل غريب ، ضخم الجثة ، متين البنيان ، عريض ما بين المنكبين ، يرتدى بدلة فى غاية الأناقة وتوحى مشيته بالجرأة والاعتداد بالنفس ...

وما إن لمحنى حتى تقدم نحوى ووضع يده على كتفى وقال بصوت يمازجه الود والمرح

— ها ! قد حضرت أخيراً أيها الشيخ اللاحن ! ...

بات لزاماً أن يكون هذا هو فردريك بالذات ...

تولتنى الحيرة والذهول ... إنه لم يسبق لى أن رأيت هـذا الرجل فى حياتى من قبل . ومع ذلك فهو يعرفنى ، بل ويتحدث إلى كما لو كنا صديقين حميمين منـذ سنين . انغمسنا فى الثرثرة وتبادلنا لا الماجن ، غير مرة . إلى أن قال أخيراً :

— والآن كيف أنت ؟ . هل الأطفال بخير ؟ . وكيف حال مرتا ؟ ...

إلهى . إلهى ! إنه يعرف حتى اسم زوجتى .

— شكراً لك ... إننا جميعاً بخير ... إننا جميعاً بخير .

شكراً لك ... شكراً لك ...

مد إلى حقيبة كان يحملها :

— خذ هذه أنت بنفسك . أما الحقيبة الكبيرة فستأتى بها العربة بعد قليل . يبدو لى أن حضورى كان مفاجأة لك . أليس كذلك ؟

وهنا لحقت بنا زوجتى أيضاً .

انبسطت أسارير وجه فردريك وأبرقت عيناه ،وانحنى أمامها ، حتى كاد أن يمس الأرض بناصيته ثم قال مخاطباً إياها :

— فى كل مرة أراك أجمل مما كنت فى المرة السابقة !

رمقتنى زوجتى بنظرة شزراء مريبة ولـكننى استدركت الموقف فقلت لها :

— ستأتى حقيبة فردريك الكبيرة فى العربة بعد قليل ... لفردريك حقيبة غير هـذه التى أحملها بيدى لفردريك حقيبة كبيرة ... ثم أخذت أتمتم بهذه الكلمات الأخيرة بغير وعى أو شعور ...

أما زوجتى فقد كانت جامدة كالصنم ، قاسية كالصخر .

ارتقينا ثلاثتنا التل إلى (الفيلا) التى كنت أقيم فيها . فقطع

علينا فردريك الصمت وقال موجهاً الحديث إلى :

— ما أجمل المكان الذى اخترته لنفسك ! بكم استأجرته ؟

ثم استدرك قائلا : ولكن لماذا أسأل هذا السؤال ؟ ... أى غرفة ستخصص لى ؟ ...

— اختر أى مكان تشاء أى مكان تشاء أيها الفتى الماجن ؟.

قال لى فردريك :

— عهدى بك لم تتغير كثيراً

فأجبت مرتبكا

— يؤسفنى لا تكون أنت كذلك .

— ماذا تقول ؟ ثم ما هذا الهراء ؟ هل كبرت حقاً ؟ .

إن وزنى لا يزال ثمانين كيلو وهو وزنى بعينه منذ ست سنوات ...

ثم أدار رأسه إلى زوجتى

— أتجدينني الآن أسمن مما كنت سابقاً يا مرتا ؟ .

أجابت زوجتى بجفاء ظاهر

— لا ، لم تسمن إلا قليلا

اصطحبنا فردريك إلى غرفة الاستقبال ، وعند ما غادرنا الغرفة قالت لى زوجتى بحدة

— ومن يكون هذا الطفيلى ؟

— هذا هو فردريك ، الرجل الذى أبرق إلينا نبأ حضوره هذا الصباح .

— حسن جداً ؛ وهل ... سيبقى ... هنا ... فى بيتنا ؟

— هذا ما تدل عليه قرائن الأمور الآن . أو هذا ما يراه هو نفسه على الأقل .

كنا واقفين فى فناء الدار ، فأطل فردريك برأسه من النافذة :

— أريد صابوناً لحقيبتى الكبيرة لما تصل .

التفت إلى زوجتى وقلت :

— مرتا ! احضرى له قطعة من الصابون سريعاً .

ولكن مرتا لم تحفل بكلامي بل ولت بوجهها شطر غرفة النوم ، وذراعاها إلى الأعلى ثم ألقت هناك بنفسها على السرير .

كان هذا ديدنها فى حالات الغضب والهياج .

فاضطررت إلى أن أحضر الصابون بنفسى

— كان فردريك وقد خلع عنه سترته منهمكا فى تنظيف ثيابه وإصلاح شأنه ، وعند ما رآنى مقبلا عليه ابتدرنى قائلا :

— لم أكن سعيداً فى حياتى فى الآونة الأخيرة كما قد تظن. لقد هزتنى (ألما) هزة عنيفة وهدت من كيانى .

— اعرف ذلك تماماً ...

وهنا أخذت اسائل نفسى ... من هى (ألما) هذه يا ترى ؟ أمتزوج هذا الرجل أم هو يحدثنى عن خطيبته فحسب ؟ ...

— النساء هكذا شأنهن دائماً

— أجل ! ... انهن هكذا دائماً

— الك ما تشكو منه ؟ ...

— ليس كثيراً ! . وأما الآن فليس لدى ما أشكو منه إطلاقاً

— ألما ، تقوم برحلة الآن

— هيه ! هذا حسن

— نعلم نعم إنها هى التى طلبت ذلك .

— وهذا أحسن طبعاً .

فرغ ضيفنا من ارتداء ثيابه فدلفنا إلى الشرفة . وما إن أفرغ كأساً من (البنج) فى جوفه حتى كانت زوجتى أيضاً قد لحقت بنا وشاركتنا حديثنا .

كان فردريك فى ذروة نشوته ومرحه . يمزح ، يثرثر ، يثير قهقهة إثر قهقهة حتى لقد أوشك ان يغمى على زوجتى ثلاث مرات من فرط الضحك .

وصلت الحقيبة الكبيرة ، وكان أول عمل قمت به هو أننى هرعت إلى السلم لاقرأ عليها على الأقل العنوان الذى قد يرشدنى إلى هوية صاحبها .

فردريك لند نهولم .

هذا هو الاسم الذى وقع عليه بصرى وأنا أنفرس جيداً فى أحد جانبى الحقيبة .

لم يتبدد شىء من الظلام الذى كان يكتنف ذهنى .

وعلى هذا المنوال أقام فردريك لند نهولم هذا بيننا . غير أنه لم تكد تمر سوى ثلاثة أيام فقط حتى كانت قد استحكمت بيننا وبين ضيفنا أواصر الألفة والمودة ، واشتدت الوشائج التى تربط كلا منا بالآخر .

كان فردريك قد أصبح عنصراً ضرورياً فى حياتنا اليومية لا يمكن إغفال أمره أو الغض من أهميته . فهو حيناً يداعب الأطفال

وبلاعبهم ، وطوراً يساعدنى فى قيادة زورق البخارى .

وقد استطاع بظرفه وخفة روحه أن يكسب حتى قلب زوجتى وثقتها .

قالت لى زوجتى ذات يوم :

— ليتك أنت أيضاً مثل فردريك دائم المرح، بادى البشاشة، مستعداً لمعونة الغير فى أى لحظة ! إن الإنسان ليكاد لا يشعر بأى ضجر أو سأم عند ما يكون قريباً منه .

استسلمت لبحر من التأمل والتفكير العميقين ، بينما تمر الحياة رتيبة هادئة فى بيتنا لا يكدر من صفوها وإشراقها شىء يستحق الذكر .

وبعد مضى ثمانية أيام تسلم فردريك خطاباً، وما فضه وقرأه حتى قطب جبينه وبدت على قسمات وجهه علائم الجد والاهتمام ثم قال :

— أصدقائى الأعزاء . لقد انتهى عملى هنا ، يجب أن أسافر غداً صباحاً بدون إبطاء . إن (ألما) قد عادت من رحلتها وأظنكم تفهمون معنى ما أقول .

— نعم ! نعم ! أفهم ذلك حق الفهم — ولكننى أيضاً آسف أشد الأسف على فراقك أيها الصديق العزيز . لقد قضينا معاً أياماً سعيدة . هل لك أن تعدنا بالعودة إلينا ثانية ؟

أجاب فردريك

هذا محتمل ! ربما !

وعند ما سمعت زوجتى نبأ اعتزام فردريك العودة، وإن «ألما» كانت هى السبب فى ذلك قالت والتأثر باد على صوتها :

— إن «ألما» هذه لشريرة مستهترة !

وفى صباح اليوم التالى شيعنا فردريك إلى الباخرة، ولم يتأخر أى واحد منا فى النوم برغم أن الوقت كان مبكراً جداً .

صعد فردريك إلى سطح الباخرة ، وعند ما دنا موعد الرحيل ظل يلوح لنا بمنديله الأبيض إلى أن ابتعدت السفينة وتوارت عن الأنظار .

قفلنا راجعين إلى البيت واجمين وكأن على رؤوسنا الطير ، وعند ما وصلنا باب سور الحديقة توقفنا عن السير لحظة . فابتدرت زوجتى قائلة :

— قل لى بربك من كان هذا الرجل ؟ .

— لا أعلم .

كنا قد أحببناه دون أن يعرف أحدنا الآخر . وعندما فارقنا خيل إلى أننى فقدت شيئاً ثميناً جداً وأحسست بالفراغ يحيط بى من كل صوب .

وفى غرفتى وجدت على المنضدة خطاباً فاختطفته فى مثل سرعة البرق وتلوته وأنا أكاد ألتهم ما فيه التهاما . ثم أعدت تلاوته من جديد وأنا مطرق ساهم غارق فى لجة من التأمل العميق .

وإليك ما جاء فيه .

سيدى الأديب !

بينا أنا جالس ذات يوم مع زمرة من الأصدقاء فى أحد الأماكن نتحدث عن أحسن مكان أستطيع أن أقضى فيه عطلتى الأسبوعية إذ ذكر أحدهم اسمكم وأثنى على جمال البقعة التى تنزلون فيها وأوصانى حتى بالنزول فى ضيافتكم . ولكننى اعتذرت لعدم وجود تعارف سابق بيننا . غير أنه لمت فى ذهنى فى تلك اللحظة فكرة طريفة فقلت لأصدقائى : هل تراهنوننى على أن أذهب إلى هذا الرجل بدون أن يعرفه بى أحد أو أتلقى دعوة منه ، فأمكث فى ضيافته طول أسبوع كامل ؟.. فقبلوا ذلك وتقرر تنفيذ الفكرة. التقطت عنكم وعن أسرتكم بعض المعلومات ثم حدث بعد ذلك ما أنتم به أدرى وأعرف . لقد كسبت الرهان اليوم . ولكننى أستشعر خجلا شديدا كلما تذكرت ما جرى . اضطررت إلى أن أعترف لكم بالحقيقة . سامحونى . لن أقبل رهاناً كهذا بعد الآن وبخاصة إذا كنتم أنتم طرفاً فيه .

المخلص

فردريك

خرجت من الغرفة وناولت الخطاب إلى زوجتى فألقت هى الأخرى أيضا عليه نظرة خاطفة ثم صاحت : مدهش، مدهش !.

وأعادت تلاوته ثانية .

وبعد أن أرسلت مرتا تنهيدة عميقة أدارت رأسها نحوى وقالت :

— مهما يكن فقد كان انساناً نبيلا حقاً .

أحمد مصطفى